

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـــزء الأوّل



48. علينا أن نزيل النّقص والضّعف الّذي ألـمّ بنا

10 شعبان 1380هـ 27 جانفي 1961م

الـحمد لله الّذي يـجدّد الـهمم والعزائم ، ويبعث الأمل لتتكوّن به الأسس والـدّعائم؛ حتّى يكـون بـه روح الإسلام فـي كلّ نفَس قائم، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يغيّر الأمور مـن حـال إلـى حال؛ لأنّه قال: {وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَـهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: 11]، وأشـهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي ذلّل كلّ العقبات الّتي وقفت عرضة فـي طريقه؛ لأنّه كـان يـؤمن بتأييـد الله وتوفيقه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين لـم يتخلّوا عـن دعـوة نبـيّهم، والإيمـان بربّـهم، وثابروا فـي رفع مكانة دينهم، وإصلاح جـميع شؤونـهم، فجزاهم الله أحسن الـجزاء.

أمّا بعد: فإنّ الإيمـان الـحقيقيّ لـم يتمكّن مـن قلـوب كـلّ النّـاس الّـذين ينتسبون إليـه، ويــجعلون نفوسهم من أهله؛ لأنّ دين الله قيمته رفيعة، ومكانته عالية، ولــم يسـتطع كـلّ أفـراد البشــر أن ينهضـوا برسالته الـمقدّسة، وأن يقفوا عند جـميع حـدوده؛ لأنّ الــحياة الّتي خصّصـها الله لعبـاده فــي العالــم الأخرويّ ثمنها باهض، ونعيمها دائم، ولا يستطيع كلّ إنسان أن يصل إلى ذلك إلّا إذا قدّم أعمـالًا كبيرة، وجهودا عظيمة، واستقامة وامتثالا لـجميع أوامر الله وقوانينه، وهذا التّوجيه أو التّحكّم في الـنّفس نجـده صعبًا إلّا على من هداهم الله لدينه، واصطفاهم من بين عباده.

وها نحن نرى النّاس ينحرفون عن قوانين الله السّمـاويّة الّتي لـو اتّبعوهـا لأكسـبتهم سـعادة العاجلـة والآجلة، ولكن النّفوس التي تـحكّمت فينا وسرنا على منوالـها فـي جـميع الأعمـال الظّاهريّة والباطنيّة، نراها قد أبعدتنا عن الـهدف الـحقيقيّ حتى في كسب التّرفيـه الــحيويّ، والتّقدّم الّـذي ينـاهض الأمـم الـمعاصرة؛ لأنّنا لو أحكمنا زمام نفوسنا وغلّبنا جانب الدّين والعقل على غيرهـمـا وروّضنا نفوسنا عـلى

كل أعمـال الـخير والاستقامة، وتباعدنا عن كلّ أنواع الشّرّ، وأسبابه، ودوافعـه، لأزلنـا هـذا الـنّقص أو الضّعف الّذي ألـمّ بنا، وحطّم كياننا الاجتمـاعي، ووحدتنا الإسلاميّة.

غير أنّه يـجب علينا أن نلافـي هذا النّقص بتقويم أخلاقنا، وتغذيـة عقولنـا بـأنواع الـمعارف، واتّبـاع السّنن الدّينيّة والكونيّة، حتّى نستطيع أن نلتحق بكلّ قوافـل الأمـم، ونبنـي مـجدنا وعزّنـا عـلى أحسـن الأسس والدّعائم التي تـخرجنا من الظّلمـات إلى النّـور، ومـن الغفلـة إلى اليقظـة، ومـن الـموت إلـى الـحياة.

ويـجب إذن أن نستجيب لذلك النّداء الإلـهيّ، وذلك التّوجيه الـحيوي، كمـا قال جلّ شأنه: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)} [النساء].